في آنٍ واحِد. ولا تتخطّى هذه الكتابات في الغالب عتبةَ التجريب اللّغويّ لانتفاء تجارب عميقة في الحياة ولمحدوديّة القراءات الخاصة بتجارب الآخرين في مختلف الآداب الإنسانيّة ولانحباس الذوات الكتابية داخل وقائع محليّة مباشرة.

١٠ ـ ليس للكتابة في هذا التّاريخ الأدبيّ إلاّ أن تتحرّر من مأزق المشهد الواحد المتكرّر بأن تعود إلى أسئلة البدء الّتي لازمت مشاريع التحديث المختلفة في كتابات الشابّي والدوعاجي والمسعدي والمدني ثمّ تناقص وهجُها بالتدريج وكادت تخفت. لِمَ نكتب؟ كيف نكتب؟ لِمَن نكتب؟ هي أسئلة البدء، وهي أسئلة الراهن والمنقضي والمصير الممكن، تردّدت أصداؤها في **الخيال الشعريّ عند العرب** للشابي وفي قصائده، وتضمّنتها **حدث أبو هريرة قال** و**السدّ ومولد النسيان** للمسعدي، وتكثّف حضورها الرمزيّ في بعض **أقاصيص** الدوعاجي، وتدفّقت عنيفة هادرة في **الإنسان الصفر** و**العدوان** لـ عزّالدّين المدني، وبدت متوتّرة صاخبة، وإن عتّمتها المؤسّسات و«الأفراد/ المؤسّسات» في نصوص فضيلة الشّابّي وخالد النجّار الشّعريّة وقصائد محمّد الخالدي وروايات حسن نصر ومحمّد رضا الكافي ومحمّد عليّ اليوسفي وهشام القروي وأقاصيص الحبيب السالمي وحسن بن عثمان وأبي بكر العيّادي وعليّ دبّ وصالح الدمس وغيرهم في ساحة أدبيّة تفرّدت في صعيد الكتابة الأدبيّة العربيّة بتطوّر جنس القصّة القصيرة لأهمية **قصص** (المجلّة) و«نادي القصّة» التي يُصْدِرها، ولوفرة الإنتاج وتراثه وتنوّع أدوات نشره وتوزيعه. وهذا ما يجعلنا نجزم بدور القصّة القصيرة الرياديّ في الأدب التّونسيّ وبحضورها الهامّ في الأدب العربيّ راهناً وَإِنْ لم يُنْجز إلى حدّ الآن بحثٌ يهتمّ بأهمّ قضاياها واتّجاهاتها ويبيّن مواطن الإضافة والتميُّز بمقارنتها بمثيلاتها في مختلف الأقطار العربيّة[١٣].

كيف نعيد وهج هذه الأسئلة في الكتابة، ونستحضرها عند القراءة؟ كيف نحرّر الكتابة من فخّ السلطة، أيّة سلطة مسبقة تحيط بفعل الكتابة وتمتصّ قوى الاندفاع فيه كي تخفضه إلى مستوى اللحظة العابرة؟ كيف نحرّر الكتابة من الأخطار التي تسكنها ونخلّص الذات الكاتبة من مخاوف الراهن ومطامعه ونندفع في عوالم الكتابة ذاتها بحثاً عن المستحيل الذي لا يتحقّق إلاّ بعضه؟ كيف نغامر في الكتابة وبها بعيداً عن الشائع من «التمارين» اللّغوية و«الاستعارات» المُفْتَعَلة فنكتب نصوصنا الكونيّة؟ كيف نقلب «نظام» كتابتنا الراهن «فوضى» تعصف بالثابت وبطمأنينة «الجالس المستكين» وتحوّل الصوتَ جلبةً والقلم أقلاماً واللّغة لغات؟

(١٣) ظهرت بعض البحوث الجزئية الخاصّة بالقصّة القصيرة في تونس لِـ رضوان الكوني وأحمد ممّو على سبيل المثال، ولكنّ بحثاً شاملاً لم يُنْجَزْ إلى حدّ الآن..

حادثة المصعد

محمود بلعيد*

دخل مبروك الشارقوري، موظّف الحسابات، إلى المصعد في الطابق الأرضي للشركة العامة للتوريد والتصدير. وبعد لحظات، وصل عبد القادر شامور، المدير العام، وأدرك المصعد قبل انطلاقه..

ـ صباح الخير سيدي المدير

ـ صباح الخير

ضغط مبروك على زر الطابق العشرين، حيث إدارة المدير العام، رغم أن مكتبه في الطابق السابع.

انغلق الباب ببطء، وشمل المصعد شبه ظلام، ثم شرع في الصعود بخفة وسرعة في جوّ مريح وموسيقى هامسة شأنه كلما تحرّك بين الطوابق...

ضغط مبروك، في الأثناء، على الزرّ الأحمر المعروف الذي لا يستعمل إلاّ في حالات الطوارئ، فتوقّف المصعد لحينه بين طابقين، من جملة طوابق الشركة العشرين...

رفع المدير العام حاجبيه متسائلاً، وبانتْ على وجهه علامات الاستغراب. ابتسم الموظّف مبروك ثمّ قال له براحة بال وهدوء تام:

ـ صباح الخير ثانية سيدي المدير. أنا الذي ضغطت على زر «ستوب»، كما لاحظت. فهذه مناسبة أردت ألاّ أفرّط فيها لأختلي بك. فلا حاجب، ولا كتبة، ولا باب يفتح ولا سكريتيرة من بين سكريتيراتك العديدات تحرّك ردفيها بانتظام، عند الإقبال والإدبار، وعندما تحوم حولك وتقترب منك... فنحن كما ترى في هذا الصندوق الضيّق، المغلق، المعلّق بين الأرض والسماء، ولا ثالث معنا إلا ربّك الأعلى..

توقّف لحظات، وهو يحدّق إليه بثبات ثمّ تابع:

أظنّ أنّك هبطت سيدي المدير، قبل أن تصبح مديراً، من بطن أمّك عريان، تصيح وتعوي.. حضرتك تشن علينا الحروب بلا هوادة، الواحدة بعد الأخرى، فكأنّنا أعداؤك الألدّاء... التنابيه تلو التنابيه والقرار تلو القرار ودفاتر الحضور والانصراف في كلّ مكان والانذارات تنزل على رؤوسنا كالشواظ... إننا لنسمي الطابق العشرين السماء، كما تعلم، وأنت داخلها ربّها الأوحد...

(*) وُلِدَ بتونس العاصمة في ١ أفريل ١٩٣٨، هو طبيب مختصّ في جراحة الفم والأسنان.. له **أصداء في المدينة** (مجموعة قصصيّة صدرت عن الدّار العربيّة للكتّاب عام ١٩٧٧)، وأعمال قصصيّة أخرى.

ها أنت الآن، حضرتك، سجين في صندوق كأنّك في تابوت أموات، معلّق في الهواء بين الأرض والسماء. وقعت كفأر في مصيدة.. بكلّ صفة، حضرتك تشبه اليربوع من ناحية أنفك وشاربك وغياب جبهتك ونتوء أنيابك... ويالها من أنياب... إنّك تعلم، دون شكّ، ماذا يصنع باليرابيع...

ثمّ كشّر له وواصل وعيناه في عينيه:

ـ الحرباء، عندما يقتضي الحال، تغيّر ألوانها لتختفي عندما يداهمها الخطر... وأنت، إلى الآن، في بحبوحة من العيش ، تتقلّب كما تشاء، وتنقلب من حيوان ضار إلى حيوان فتّاك، ولا تهمّك البقيّة الباقية من عباد الله... يا لك من ثعبان تحسن الانسياب في سكون.. وتتقن الحسابات و«التّكنبينات»... كلّنا نعلم بالمرابيح وما فوق المرابيح وما تحتها، وعمليّات التغطية، وما يمرّ مرّ الكرام في الحسابات الجارية والمجمّدة عندما توقّع على ما توقّع من العقود، وتبرم ما تبرم من الصفقات... ثمّ سفرك للخارج ليوم أو يومين لأسباب لا نجهلها، أهمّها الكشف عن حسابات بالدولار والفرنك الفرنسي والسويسري والبلجيكي وعمّا قريب يدخل اليان الياباني في حيّز مداراتك... واللّقاءات مع الحبيبات... المرتّب الشهري لا يساوي ثمن زجاجة وسكي تطلبها أثناء سهراتك في نزل من النّزل...

وتابع وهو يقترب منه أكثر فأكثر:

ـ نحن نعلم بكلّ خفاياك... إنّك أكلت الدنيا وتسحّرت بها... ولم تبق منها شيئاً لخلق الله. يا لك من حيوان!! ومع ذلك تحسدني على ربطة العنق التي حول رقبتي. أمّا ربطة عنقك هذه المستوردة ـ **ويستولي على ربطة عنق المدير المنكمش في قاع المصعد** ـ فأنا أريد أن أداعبها.. **(يمدّ أصابعه ويعبث بها)**... ربطة عنقك هذه المزدهية الألوان هي آخرُ صيحة هذه الأيام في أوروبا... أداعبها إلى... إلى... وأنت تعرف النهاية... **(ويضغط بجمعه عليه ضغطاً تنزعج له عيناه)**... ها.. ها.. أتأمّل فيك جيّداً اليوم.. وعن قرب، لأوّل مرّة.. أدنو منك... وأكاد أبرك عليك. لا تتحرّك.. ها.. ولا تفتح فمك.. وماذا تقول إن فتحت فمك... ها...

ويواصل متهكّماً:

ـ قل لي... سمعت أنّك تجزّ رأسك في روما، ما شاء الله... ما شاء الله **(يضغط عليه أكثر)** كان عليك أن تقرقطه في إسبانيا... كما تقرقط الكلاب... وتقلّم أظافرك فتاةٌ ترتدي الجيب حدّ الفخذين وهي بين يديك.. لا تغترّ، إنّها مومس، تعرّت لعشرات من قبلك، وستتعرّى لعشرات من بعدك... مومس السيدا، من النوع الرفيع.. من آخر طراز هذا الزمان... ما أجمل الهدايا التي تعود بها.

ويتابع وهو منكبّ عليه، وعيناه في عينيه، ورأسه يكاد يصطدم برأسه:

ـ أخبار الزّالوجة المحترمة... بل آخر أخبارها تتنقّل في الشركة من الطابق السفلي إلى الطابق العشرين.. أين سماؤك ونجومك وأقمارك، تصل إلينا أخبارها كما تصل أخبار الصباح... انقضت لحظات رهيبة كأنّها آخر لحظات عمره... وهو في قبضة يد مبروك الفولاذية... اليوم أطلع لك لسانك ولا أخرج لك روحك وذلك كتنبيه يصعد لك من الطّابق السابع أو كإنذار.. على كلّ اختر أيّ كلمة شئت...

* * *

في النهاية، ضغط الموظّف على زرّ الانطلاق، بعد أن خلّى سبيل المدير... وهو يكشّر في وجهه.

يتحرّك المصعد من جديد، بتأنّ في أوّل الأمر، بعد رجّات وهزّات إذ لم يألف بدوره التوقّف المفاجئ بين الطوابق ثمّ ينساب من جديد في شبه عتمة وموسيقى هامسة...

عندما يصل إلى الطابق العشرين يرنّ جرس نحيف الصوت ينفتح إثره الباب شيئاً فشيئاً على صالون فسيح أنيق... ولوحات زيتيّة معلّقة على جدران رمادية... تكسوه موكات من النوع الرفيع، لونها أزرق سماوي...

ـ تفضّل سيّدي المدير...

ويفسح له بالخروج...

اختِفَـــاء

مصطفى الكيلاني

من الثقب ينحصر فضاء الغرفة في إطار فولاذيّ.

هناك في الركن المقابل يجلس بِجُثَّتِه المُتْعَبَة وأمامه طاولة عليها كأس وقارورة وصحن كَأَنَّ فيهِ حبّات زيتون وقِطَع جبن صغيرة وهيكل سمكة مشويّة يتناثر قَريباً منه فُتَاتُ لَحْم.. الوجه نِصْف مُخْتَجِبٍ بين الجدار المُقابِل وبين الظلال المتكدِّسة حذو النافذة المُغْلَقَة...

تحْت الطاولة شَبَحُ قطّةٍ سوداء يَتَمَطَّط وٱلذَّنَب إلى أَعْلَى تَمُرُّ مِنْ بَيْن رجليه وتتعمّد التمسُّح بهِمَا ثمّ تهمّ بالنهوض مستنِدَةً بساقيها الأماميّتين إلى ركبتيْه فيدفعها بيده إلى الأسفل.. كأنّها تموء وتتراخى في انكسار ثمّ تختفي قريباً منه كي تُعيد الكرّة بعد حين..